تأثير الليبيين في الحضارتين المصرية واليونانية وتأثرهم بها

بقلم

محمد مصطفى بازامه

١

إن الأدلة التاريخية التي وصلت إلينا من مخلفات الانسان الذي عاش في عصور ما قبل التاريخ البعيدة ، ليست سوى بعض الأدوات والآلات الصلبة ، التي أمكنها مقاومة عوامل الزمن من بين جميع ما كان إنسان ذلك العصر يستخدمه في حياته اليومية ؛ وهذه ، ليست بالكثيرة ، ولا هي بالمتعددة الأنواع والأغراض ، ثم إنها لا تمثل جميع مبتكرات الإنسان الأول التي كونت وتكون في مجموعها حضارة الإنسان آنذاك . وهذا يعني ، أنها لم تكن الأدلة الحضارية الوحيدة التي كان من الممكن أن تعكس حياة وحضارة انسان ذلك العصر ، لو أن لغيرها مثل ما لها من القدرة على مقاومة عوامل الطبيعة القاسية ، فهناك مثلاً مئات الاشياء التي صنعها الانسان واستخدمها ، ولكن الدهر عفى عليها لأنها لم تكن تمتلك خاصية القدرة على البقاء ؛ وهناك أيضاً ذلك الجانب اللامادي من الحياة ، كعقلية الإنسان ، وعقائده ، وافكاره ، وسلوكه ، ونظمه الاجتماعية ، وما إلى ذلك من الأمور التي لا يعكسها لنا غير فصل مدون ، أو منظر مرسوم أو منحوت ؛ ولذلك فلم يصل إلينا منها أي شيء ، لأن الإنسان — آنذاك — لم يكن يعرف كيف يحفظها لنا بالتدوين ، في سجل التاريخ الخالد ، وهذه اللاماديات من أهم المميزات ، لأية حضارة إنسانية .

وحتى ما وصل إلينا من تراث تلك العصور، الموغلة في القدم، لا نعرف فيما كان يستخدم، على وجه الدقة، وبالتأكيد وكلما قيل عن حياة إنسان العصور الحجرية، وكل الذي سيقال حول هذه الحياة، ليس في معظمه، غير محاولات للعلماء، فسروا بها — اجتهاداً — تلك الطرق التي استخدم بها الانسان هذه الآلات والأدوات، والغرض الذي استخدم كل أداة منها فيه؛ ولكن في حدود ما أسعفهم به تصورهم لنوع الحياة البدائية التي كان إنسان ذلك العصر يحياها. وليست الصورة التي رسموها له صادقة بالضرورة، وهي لا تزال في حاجة إلى مزيد من الإيضاح الذي لا نعتقده ممكناً، لانعدام ما يساعد على الوصول إليه، بغير المقارنات واجهاد الفكر والاستنتاج، وهذه طريق محفوفة بخطر المزالق، واحتمال الخطإ فيها كبير، لضعف الدليل وقلة تنوعه.

وقد شغلت العلماء والباحثين الاثريين قضية أصل الحضارة الانسانية التي برزت فجأة على ضفاف النيل، وفي داله، تاركة ثغرة واسعة بين بدايتها المتقدمة، وآخر ما بلغته حضارات العصور الحجرية في نفس الإقليم. وقد تضاربت آراء علماء التاريخ، وتباينت أقوال الباحثين الأثريين، في تعيين الأصل الأول لحضارة مصر، في عصور ما قبل التاريخ، أو على الأصح، في عهود ما قبل الأسرات، ولم يتفق هؤلاء بعد، وليس من المتوقع إجماعهم، حتى على ترجيح رأي واحد بذاته، من بين مجموعة الآراء التي ترجع الأصل الأول للحضارة المصرية، إلى سكان الشمال الغربي، أو إلى سكان الشمال الشرقي، أو إلى سكان الجنوب والجنوب الغربي، أو إلى سكان الجنوب الشرقي أو إلى أهل البلاد نفسها، لقيامها جميعاً على مجموعات من الأدلة التاريخية الراجعة إلى إنسان ذلك العصر البعيد، الامر الذي يجعل قبول أي منها تجاه واقع تاريخي لا يمكن رفضه كلية بالنسبة لباقي النظريات والآراء.

ونعتقد نحن، مع كثير غيرنا، بأن تحديد مدى عمق التفاعل الحضاري، بين الشعب المصري القديم والشعوب المجاورة له من قدماء الليبيين وغيرهم، في عصور ما قبل الأسرات، ليس من السهولة بالدرجة التي يراها بعض المؤرخين والباحثين الأثريين، لكثافة الستار التاريخي الحاجب لمعظم حقائق تلك العصور السحيقة. ومهما قيل، وكل ما سيقال، في إرجاع أصل الحضارة المصرية الأولى، إلى سكان الشمال الغربي (الى الليبيين)، أو إلى سكان الشمال الشرقي (الى الاسيويين)، أو إلى سكان الجنوب والجنوب الغربي (إلى الافريقيين)، أو إلى سكان الجنوب الشرقي (الى اليمنيين)، أو إلى أهل البلاد نفسها (إلى المصريين)، فانه قد ظل، وسيظل، مجرد استنتاجات ومقارنات، أقامها المنادون بالرأي، على بعض الحقائق التاريخية الجزئية، التي لا يمكن بحال، أن تكتسب صفة

الشمول ، لقيامها أصلاً على القليل من الأدلة التاريخية المتفرقة والتي لم يجمع بينها مكان أو زمان واحد ، مما يفقد تلك المقارنات ، الكثير من القيمة العلمية التي استند أصحاب الرأي إليها .

لما تقدم ، فان ما سأورده في هذا البحث ، من مظاهر التأثير الحضاري لليبيين في المصريين ، ومن مظاهر التأثر الحضاري لليبيين بالمصريين ، يجب أن لا يفهم عنا ، على أنه تصريح منا بالأصل الليبي للحضارة المصرية ، أو تأكيد بالأصل المصري للحضارة الليبية ؛ فان الإقدام على مثل هذه الأحكام النهائية الفاصلة ، في هذا الميدان ، ليست سوى ضرب من المجازفات العلمية ، التي لا تستمد قوتها ، إلا من النفوذ العلمي لأشخاص القائلين بها وحسب ؛ وهي في حاجة أبداً ، الى الأدلـة الدامغة التي احتواها الزمن سرًا دفيناً بين طيات العصور والقرون والأجيال .

٢

أما الحضارة اليونانية ، فهي متأخرة زماناً عن الحضارة الفرعونية المصرية ، وهي من حيث اتصالها بليبيا وبالليبيين ، متأخرة عن عصر نشأتها الأول ، اذ لا يرجع المؤرخون هذه الصلة ، إلى أبعد من القرن الثامن قبل الميلاد ، وان كان من شبه المجمع عليه الآن بينهم ، إرجاعها إلى النصف الأخير من القرن السابع قبل الميلاد (سنة ٦٣١ ق. م.)[1] ، وليس وضع الإنسان في هذا العهد ، سواء في ليبيا أو في بلاد اليونان ، بالوضع المماثل لما كان عليه في عهد ما قبل الاسرات ، وما سبقه من عصور بعيدة ، موغلة في القدم . وقد كان من المفروض أن نعرف من أمر هذه الصلة الحضارية بين الليبيين واليونان ، الشيء الكثير ، ما دام الإنسان قد عرف الكتابة والتدوين ، غير أن ما يقدمه لنا التاريخ المدون ، من المعلومات الحضارية ، لا يساعدنا كثيرًا على فهم مدى التأثير والتأثر الحضاري الحاصل بين الشعبين . ولذا ، فان القليل من النصوص التاريخية التى يقدمها التاريخ والميثولوجيا اليونانيين ، لابد وأن يدرس على أساس أن ليس سوى جزء يسير ، من كل كثير ، لا يزال في حاجة إلى البحث عنه في ليبيا ذاتها ، قبل الجزم باستحالة وجوده ، إذ أن البحث الأثري فيها قد تركز حتى الآن ، في عصور ما قبل التاريخ الحجرية ، ثم في العصور : اليوناني — الهلنستي — الروماني — البزنطي ، تاركاً ما بينها مغمورًا لا يعرف منه أي شيء حتى الآن ، اللهم إلا ما كشف عنه صدفة وهو قليل ، ومع ذلك فلم تتوفر له الدراسة اللازمة ، من متخصص حتى اليوم .

(١) ومن الثابت وجود اتصال سابق لليبيين بشعوب البحر ، ومن بينهم اليونان ، ولا شك ، أشارت إليه آثار الفراعنة في عهد ملوك الاسرة الثامنة عشرة الفرعونية وما بعدها .

وأرى لزاماً علي ، أن أشير هنا ، إلى أن تأثر الليبيين بالحضارة اليونانية ، قد جاء بعد تأثرهم ، وتأثيرهم في حضارة مصر الفرعونية ؛ وإلى أن تأثر اليونان بالحضارة الليبية ، قد جاء هو الآخر بعد أن نشأت الحضارة الهلينية ، وتكاملت في بلاد اليونان ، الأمر الذي يبعد فكرة أن تكون الحضارة اليونانية ، أصلاً للحضارة الليبية ، أو فرعاً منها ، في ذات الوقت ؛ ويجعل التأثير الحضاري لأي من الشعبين في الآخر ، أو التأثر بما عنده ، ليس الا نوعاً من التقليد والاقتباس الحاصل بالاحتكاك وبالاتصال .

٣

من الواضح الجلي ، أن العقائد الدينية ، والنزعة الفنية ، في أي شعب ، هما من أبرز مقومات حضارته ؛ وأن مظاهرهما البارزة من الممكن أن تنعكس على سائر الفكر الحضاري لعصر معين ، سادت تلك العقائد فيه ، وتجلت نزعتها الفنية في تراثه . ولسنا في حاجة إلى التدليل على هذه العلاقة ، التي بين المعتقد والاتجاه الحضاري ، وحتى إذا نحن احتجنا إلى تقديم الأدلة على وجودها وتأكدها ، في بعض فترات التاريخ ، فاننا لا نعتقد أننا ، أو غيرنا ، في حاجة إلى شيء من هذا ، حين الحديث عن الحضارة الفرعونية ، التي قامت وخلدت ، بفعل هذين العاملين بالذات .

— واذا نحن تلمسنا التأثير الحضاري لليبيين ، في تراث الحضارة المصرية ، فاننا نجده في أبرز مظاهر هذه الحضارة ، وهما : الدين والفن . وليس الجزم بهذا التأثير الليبي ، في الحضارة المصرية القديمة ، قطعاً بالأمر السهل ، ولكنه مع ذلك ، ليس بالأمر المستحيل ؛ فان بعض المعبودات المصرية القديمة ، قد أعيدت إلى أصل ليبي ، ومعظم المعبودات المصرية القديمة ، قد رسمت ، في المقابر ، وعلى الجدران ، وهي ترتدي ، أو تتزين ، بأشياء معينة ، اختص قدماء الليبيين وحدهم ، بارتدائها ، والتحلي بها في النقوش والرسومات التي تمثلهم على آثار مصر الفرعونية .

وعلى سبيل المثال ، لا الحصر ، فان « أزيرس » إله الغرب (نب إمنت) ، وسيد عالم ما بعد الحياة ، في الميثولوجيا المصرية قد أرجعه السير فلندرز بتري[١] في أصله إلى الليبيين صراحة ، حينما رأى أن عبادة « أزيرس » الوافدة على مصر من ليبيا قد غيرت كثيراً من طقوس ومفاهيم سائر المعبودات المصرية الأخرى ، فتحولت هذه حتى في أشكالها الحيوانية إلى بشر برؤوس الحيوانات التي كانت الأصل لها قبل ذلك . أما غيره ، من العلماء فقد جعله أسيوياً في أصله ، وان استقر في

(١) Sir F. Petrie, *Religious Life in Ancient Egypt*, Boston, 1914.

غرب الدلتا ، وعبد على أنه إله الغرب ، ولكن تابوته قد حمل رمز الأفعى والريشتين وهما من مميزات الليبيين قديماً .

ونجد الموضع الذي انتقل إليه اليونان ، في أسطورة النزوح الإغريقي ، عند هيرودوت قد سمى باسم « ازيريس » ، واذا كانت هذه التسمية لموضع أو لمدينة أو لمعبد ليبي (روايه هيرودوت لا تساعدنا على التحديد) فان هذا المكان ، ربما كان هو الموضع الوحيد الذي حمل اسم هذا المعبود صراحة ، في ليبيا . ويجدر الملاحظة هنا بأنه لا يعرف في مصر القديمة (حسب معلوماتنا) مكان واحد ، من سائر مقاطعات الوجهين ، القبلي والبحري معاً ، باسم هذا الآله ، إذا استثنينا مدينة بوسيريس (بوصير) التي لا تضم معبداً خاصاً به ، إذ من المعلوم أنه كان موزعاً في الأسطورة كجدث بين ١٤ أو ١٦ مقاطعة من مقاطعات الوجهين .

و « نيت » معبودة الدلتا الغربية ، قد اختص الليبيون وخدهم ، بالتزين بحمل رمزها المقدس - وشما - على أذرعتهم في النقوش المصرية الفرعونية . وقد نقلوا هذه المعبودة الليبية أصلاً إلى قرطرجنة أيضاً حيث عرفت باسم « تانيت » ، كما أنها اتحدت أيضاً عند اليونانيين (وخاصة هيرودوت) بالمعبودة اليونانية « أثينا » . ويكاد يجمع مؤرخو مصر الفرعونية ، على أن « نيت » هذه كانت معبودة ليبية أصلاً ، استقرت معهم في شمال الدلتا منذ عصور ما قبل الأسرات .

وحتى الآله « ست » يرى البعض أنه ليبي الأصل ، فقد ظل حتى عهد الأسرة الثانية يحمل لقب « سيد ليبيا » كما ظل يعرف أيضاً بلقب : « حامي الأرض الحمراء » أي الصحراء . وكان في العصر الثيني آلهاً ليبياً في الشرق والغرب والجنوب على السواء[1] .

وقد ذكر هيرودوت أن الليبيين كانوا لا يأكلون لحم الخنزير ، ونحن نعرف أن هذا الآله ، « ست » ، قد مثل بهذا الحيوان ، بعد أن سادت عبادة « أزيرس » ، وأن المصريين كانوا لا يأكلون لحم هذا الحيوان القذر هم أيضاً ولذات السبب .

وذكر هيرودوت أيضاً ، أن النساء الليبيات كن لا يتناولن لحم البقرة لأنها الحيوان المقدس للمعبودة المصرية « أزيس » زوجة وأخت الآله « ازيرس » ، وهن يشتركن في هذا مع المصريات لذات السبب .

وعلى وجه العموم ، فمن الواضح من رسوم كثير من أشخاص الآلهة المصريين ، تينك الريشتان ، اللتان حملها الليبي فوق رأسه ، طوال فترة التاريخ الفرعوني ، وكذلك ذيل الحيوان (الاسد ؟

(١) نجيب ميخائيل ابراهيم : - «مصر والشرق الادنى القديم» جزء ٤

الثور ؟) ، وذلك الكيس أو الجعبة ، ستار العورة عند الذكور ، والتي لا يرسم الليبي بدونها إلا نادراً ، في النقوش المصرية ، وقد حملتها بعض رسومات الآلهة ، كما حملها بعض الفراعنة كذلك[1] .

ومع أن القول بأن التأثير الحضاري لليبيين في مصر الفرعونية كان قوى التغلغل ، والنفوذ ، لايزال في حاجة إلى البحث المركز الدقيق من قبل المختصين في أصول الحضارات ، وخاصة في الحضارة المصرية ، إلا أنه يمكن القول بأن المؤرخ ، لا يسعه إنكار هذا التأثير الحضاري الواضح ، في كتاباته عن تلك العهود السحيقة من حياة الشعبين المصري والليبي إذا كتب .

٤

واذا كان ابراز تأثير الليبيين في الحضارة المصرية ، على صعوبة البحث فيه ممكناً ، لما كشف عنه من آثار الحضارة الفرعونية ، الغنية برسوماتها ، ونقوشها ، ونصوصها التي أمكن للعلماء فك رموزها منذ عشرات السنين ، فان ابراز تأثر الليبيين بالحضارة المصرية ، أصعب من ذلك كثيراً ، لقلة ما لدينا من معلومات عن الليبيين في عصور ما قبل التاريخ من المصادر الأخرى غير المصرية ، ولانعدام البحوث الحفرية المنظمة ، وغير المنظمة ، عن آثار ومخلفات الإنسان الليبي ، في عهود الأسرات الفرعونية ، وفي عهود ما قبل الأسرات . ومع هذا فان بعضاً من الأخبار (المتأخرة) التي أوردها هيرودوت ، حين حديثه عن الليبيين ، وبعضاً من النقوش والرسومات البدائية التي كشف عنها الباحثون بين صخور جبال ومرتفعات وأودية الجنوب (وادي زقزة — وادي مسعودة — تاسيلي — اكاكوس — العوينات ... الخ) ، قد أعطتنا بعض الأدلة الباهتة ، عن تأثر الليبيين بالمعتقدات وبالفن المصري .

لو أننا ذهبنا إلى أبعد من هذا ، ولجأنا إلى الاستقراء فالاستنتاج ، كما فعـل ويفعل بعض المؤرخين ، لرأينا في اسم مدينة برقة (Barca) الذي ورد لأول مرة في تاريخ هيرودوت ، تأثيراً مصرياً فرعونياً واضحاً ، فالكلمة من الجائز أن تكون مركبة من كلمتين مصريتين قديمتين هما : « بر » ومعناها « بيت » و « كاو » ومعناها « القرائن » ، أو « كا » ومعناها « القرين » وهي مفرد « كاو » . وليس من غايتنا هنا أن ندخل في تفصيلات عقائد المصريين القدماء في الموت وما بعد الموت من تسميات وفلسفات ، ولكننا نجد أنفسنا مضطرين إلى ذكر شيء من أمر هذه الـ « كا » أو «القرين» ؛ إنها في رأي إرمان : « القوة المحببة الحيوية » ، وهي في رأي شتيندورف : « الروح الحارس » ، وهي

(١) سليم حسن : مصر القديمة ، جزء ٧ .

في نظر مسبيرو : « البديل » أو « المكرر » أي « القرين » . وتأتي الـ « كا » في نظر قدماء المصريين إلى الوجود في نفس اللحظة التي يولد فيها الإنسان ، وهي هيولية وليست عنصراً من عناصر الشخصية أو الجسد ؛ ولكنها أيضاً ليست سماوية مثل الـ « با » التي تمثل عادة على صورة طائر ، بل إن الـ « كا » تعيش في العالم الآخر ، عالم ما بعد الحياة ، وفيها تحل الـ « با » بعد وفاة الشخص وانتقاله إلى عالم « أزيرس » .

وإذا علمنا أن كلمة « بر » أي « بيت » تعني في المصرية « معبد » كما قد تعني « مدينة » أو « منطقة » ، أمكننا أن نحتمل أن تكون كلمة برقة BAR-KA التي ذكرت من هيردوت على أنها المدينة المنافسة سياسياً واقتصادياً لمدينة قورينة اليونانية ، تسمية مصرية ليبية معناها « بيت الكاو » أو « بيت الكا » أي « مدينة القرائن » ، مع العلم بأن سيد هذا البيت هو « أزيرس » إله الغرب ، ملك عالم ما بعد الحياة .

ولا نريد أن نذهب بعيداً ، فنتصور في منافسة برقة الليبية ، لقورينة اليونانية ، نوعاً من الصراع العقائدي بين الليبيين عبدة « أوزير » أي « أزيرس » وبين اليونان عبدة « أبولون » و « زيوس » ، على الأقل في بداية أمر الإحتكاك ؛ لان الاستنتاج الذي ذهبنا إليه هنا لا يزال في حاجة إلى المزيد من التعمق في الدراسة والبحث ، قبل التسليم به ، واصدار أحكام ، وتعليلات تاريخية على ضوئه من مثل هذا الاحتمال .

وقد ذكر هيرودوت في تاريخه أن القبائل الشرقية من برقة ، كانت لها عقائد وعادات المصريين ، كما ذكر قضية امتناع الليبيين عن أكل لحم الخنزير ، « حيوان ست المقدس » ، وعن لحم البقرة « حيوان ايزيس المقدس » ، وبعض أمور أخرى تشير إلى تأثر الليبيين بالحضارة المصرية .

وفي الرسومات والنقوش البدائية التي عثر عليها في وبعد النصف الأول من القرن العشرين ، في عديد من المناطق الصحراوية ، مما يعد بالآلاف ، الكثير من الموضوعات التي تبرز نوعاً من الاتصال الحضاري بالمصريين : فاسلوب رسم بعض الأشخاص فيها كامل الوضوح ، وبعض الحيوانات تحت فوق الرأس قرص الشمس « رمز الاله رع » ، ورسومات أشخاص برؤوس حيوانات ، بل صنعة ذات طراز مصري حميم ، وكانت الأفعى المقدسة ، على جباه بعض هذه الصور واضحة الوضوح . هذه وغيرها من المواضيع التي تزخر بمثيلاتها موضوعات الفن المصري القديم ، نجدها في مجموعات الرسوم التي نشرت بعد اكتشافها من قبل الباحثين في تلك الأودية والجبال الصحراوية النائية ، في جنوب البلاد . ولكن قضية هذه الرسومات ، والنقوش البدائية ، لا تزال تحير العلماء والباحثين ، فانه من غير السهل الحكم بحداثة عهدها أو قدمه على عهد الأسرات المصرية ، وحتى

تحل هذه القضية بصورة نهائية ، فانه يصعب معرفة ما إذا كانت هذه الحضارة الصحراوية ليبية الأصل ، وبالتالي فهي دليل جديد على تأثر المصريين في فنهم أيضاً بالحضارة الليبية ، أم أنها كانت دليلاً على تأثر الليبيين بالحضارة المصرية وحسب ، ودليلاً أكيداً على تغلغل الحضارة المصرية حتى تلك الجهات النائية البعيدة عن وادي النيل بعشرات المئات من الكيلومترات ، على أنها في الحالين دليل أكيد على الوحدة الحضارية أصلاً في الشعبين الليبي والمصري ، أو على الأقل دليل على الاتصال الحضاري العريق بين الشعبين .

٥

أما عن صلة الحضارة اليونانية بالحضارة الليبية ، وهذه بتلك ، فأمر تاريخي ، لم يحدث — كما سبق وأن قدمنا — إلا وقد تأصلت جذور حضارة كل من الشعبين في مجتمعاته ، بمعزل عن بعضهما مستقلة احداهما عن الأخرى ، مفصولا ما بينهما بالبحر الأبيض المتوسط[1] ؛ وهذا يعني أن التأثر والتأثير الحضاري لأيهما في الآخر كان من نوع الأخذ والعطاء ، ولا يمكن القول بأن أيهما كان أصلاً أولاً للأخرى كما هي الحال بالنسبة للعلاقة الحضارية بين مصر وليبيا .

ومع كل الأسف فان إهمال البحث عن الآثار الليبية السابق عهدها لمجيء اليونان إلى ليبيا أو على الأصح عدم توفق المنقبين حتى الآن في الكشف عن شيء منها — في شمال الإقليم على الأقل — قد جعلنا نعجز عن تلمس مدى ونوع أوجه التأثر والتأثير الحضاري بين حضارتي الشعبين الليبي واليوناني اللهم الا من خلال تلك النصوص التاريخية المدونة التي حفظها لنا التاريخ فيما كتبه مؤرخو وشعراء وادباء اليونان ، وهذه أيضاً ، قليل من كثير ، ضاع بفعل عامل الزمن ، وتدهور الازدهار الحضاري في المنطقة ، وانقطاعه في بعض الفترات .

وأهم الميادين التي قد تنكشف فيها هذه العلاقة التي بين الحضارتين بعد « عالم الحفريات » علم آخر حديث النشأة نسبياً هو « علم الميثولوجيا » ولكن البحث فيه عن الميثولوجيا الليبية واستخلاص مادتها من وسط تلك الأساطير المتراكمة لم يقم به أحد حتى الآن على الرغم من أمكانية وفائدة القيام به للمؤرخ والتاريخ وللادب والأديب وللباحث الإجتماعي وربما لغيرهم من الباحثين في التاريخ الليبي.

ولعل أهم إشارة في هذا الميدان ، نجدها عند هيردوت ، وتدور حول أصل الاله بوسيدون (نبتون الروماني) ، فهو يؤكد في صراحة تامة أصله الليبي ، ويثبت ان اليونان قد عرفوا عبادته عن

(١) يجب أن لا ننس كلية أمر الاتصال المبكر الذي سبق وأن اشرنا إليه والذي تم بين الليبيين وشعوب البحر .

الليبيين ، بعبارته التالية (الثاني ٥٠) : « ... وتلك المعبودات التي يعترفون (يقصد المصريين) بعدم معرفتهم لها ، وعلمهم بها ، يبدو لي ، أنها كانت ذات أصول وخصائص بِلَسْجِيَّة «Pelasgi» ما علما « بوسيدون » فان معرفة الإغريق لهذا الاله ، قد كانت عن طريق الليبيين ، إذ ما من شعب انتشرت عبادة بوسيدون بين أفراده منذ عصور عريقة غير الشعب الليبي الذي عبده أبداً ومنذ القديم » ...

ومع أن « ست » قد ربط بالاله « تيفون » ، إلا أن صفات وخواص هذا الآله الليبي المصري القديم تجعله أكثر التصاقاً بالآله « بوسيدون » الذي جعله هيرودوت ليبي الأصل ؛ فهو أي « ست » : إله العاصفة ، ويمثل : الزوابع ، والعواصف ، والسحب ، والرعد ، والزلازل . وبعض هذه صفات وخواص لبوسيدون ، كما عرفه الأغريق ، فهل يعني هذا أن هناك إلهاً ليبياً واحداً ، عرفه المصريون عنهم باسم « ست » ، وعرفه اليونان باسم « بوسيدون » عن الليبيين بينما عرفوا « ست » عن المصريين باسم « تيفون » ؟ هذا جائز غير أن الجزم به يحتاج إلى دراسة أعمق وأشد تركيزاً مما يسمح به مثل هذا البحث .

ويؤكد هيرودوت أيضاً ليبية أصل الآله « تريتون » ، ويؤكد من كثير غيره ، ليبية أصل « زيوس أمون » أو « أمون الكبش » ، وهذا الأخير في الواقع توحيد بين الإله المصري « أمن » أو « أمون » والآله اليوناني « زيوس » (وهو « جوبتير » عند الرومان) ، ربما لأن في خصائص المعبودين وصفاتهما ما مكن من إبراز هذه الوحدة بينهما ، والتي تمت على أيدي الليبيين فنسب أمن إليهم لأنه عرف عنهم (١) .

ولا نريد أن نذهب بعيداً في ذكر واستعراض أسماء الآلهة وانصاف الآلهة اليونانية التي ارتبطت بالأراضي الليبية . لا ، ولا أن نتعرض لذكر الأساطير الميثولوجية المتعلقة بهؤلاء وبغيرهم من مثل « ليبيا » ، و« قورينة » ، و« الميدوزا » ، و« الجورجونات » ، و« حدائق الهسبيريدس » ، و« برسيوس » ، و« الثعبان الحارس » ، و... الخ فغايتنا هنا مجرد الإشارة إلى وفرة المادة ، وجدة البحث ، وطرافته علاوة على بالغ اهميته بالنسبة للمؤرخ الليبي .

وليس تحديد مدى التأثر والتأثير في ميدان الفنون بمثل هذه السهولة ، وقد يكون من المستحيل ، أو من شبه المستحيل إجراؤه في وقت قريب ، أو قبل أن يكشف لنا المنقبون عن آثار ليبية تمكننا من مقارنة الفن فيها بما كشفت عنه آثار العهد اليوناني في ليبيا وفي غيرها من الأقاليم التي ازدهرت

(١) يذهب البعض إلى اعتبار « أمون سيوة » ليبي الأصل والنشأة ، وهو غير « أمن » المصري ، ودليلهم على هذا هو أمون » سيوة وليس « أمن » طيبة هو الذي عبده اليونان وحجوا اليه .

فيها الحضارة اليونانية . غير أن ما نريد أن نشير إليه هنا هو أننا لم نعن بعد بدراسة من هذا النوع حتى الآن ، ربما لانعدام ذوي التخصص بيننا في مجال دراسات هندسة الفن المقارنة ، في أصولها واشكالها وأساليبها .

وقد أشار هيرودوت إلى أن الليبيين كانوا أول من استخدم العربات الحربية بأربعة خيول ، وعنهم أخذها اليونان ، وهذه الإشارة وحدها دليل على أن الليبيين كان لهم ما أعطوه لغيرهم في الوقت الذي أخذوا فيه عن هذا الغير .

ونجد الليبيين قد أخذوا عن اليونان الكثير من معبوداتهم ، وعبدوها على انها معبودات ليبية ، في نفس الوقت الذي عبد فيه اليونان المعبودات الليبية وقدسوها . كما نجد أدباءهم وشعراءهم وميثولوجييهم قد وضعوا الاساطير والروايات الميثولوجية ما وحدوا به بين المعبودات الليبية واليونانية أصلاً ، فجعلوا إناث المعبودات الليبية أمهات وأخوات أو بنات لذكور المعبودات اليونانية ؛ ومن ذكورها آباء أو إخوة أو ابناء وحفدة للمعبودات اليونانية ، ونقلوا كثيراً من مسارح الأحداث الميثولوجية من ليبيا الى بلاد اليونان أو استقدموا بعضها من بلاد اليونان إلى ليبيا . وعن طريق تأثير الليبيين في اليونان ارتفع معبد « جوبتر أمون » في سيوة إلى مرتبة كبريات المعابد في العالم اليوناني وحج إليه اليونان باعتباره واحداً من المعابد الثلاثة التي يستشار الوحي فيها في كل أمر جليل ومن سائر اليونانيين .

هكذا أخذ الليبيون عن اليونان الكثير وأعطوهم ، فامتزجت حضارة الليبيين بحضارة اليونان ، واتحدت بعض عقائد الشعبين ، وتداخلت مفاهيم الفن ، ومدارسه ؟ فكونت المدرسة القورينية التي لم نستطع بعد ، أو لم نحاول ؟ ، ابراز خصائصها ومفاهيمها الفنية المميزة لها ، لعدم توفر الباحث الليبي المتخصص ، كما سبق وأن ذكرنا من قبل .

٦

واذا كان لكل بحث غاية ، ولكل باحث هدف ، فان غايتي من هذا البحث هو أن أبرز لليبي كيانه التاريخي المستقل ، وهدفي منه يتلخص في أن أبرز فيه تلك الفترات التاريخية التي تحتاج إلى أن يتجه البحث الأثري ، والنظري أيضاً ، إليها ليبرز ذاتية التاريخ الليبي ؛ وقد حاولت على رغم التعميم في البحث أن أركز الموضوع بحيث انتهى منه إلى طرح التساؤلات التالية :

إذا كان لليبيين تاريخ حافل قديم وتأثير حضاري روته وسجلته لنا نصوص ورسوم ونقوش مصر الفرعونية ، وإذا كانت لليبيين حضارة عريقة ساهمت في تقدم حضارات وادي النيل منذ عصور

قبل الأسرات ، وكانت في بعض الأحيان أصلاً أولا لها ، وهذه الحضارة سابقة زمناً لحضارة اليونان في البلاد بعدة قرون بل بالاف السنين ، فلماذا لا تكون لليبيين آثار ليبية في ليبيا ذاتها ؟ ولماذا لا يكون تراث حضاري — من أي نوع — قابل للكشف عنه داخل ليبيا ذاتها ؟ في الشرق أو في الشمال هي لهم في أقصى الجنوب ؟ ولماذا تبهرنا آثار الحضارة الكلاسيكية من يونانية ورومانية ، فنتوقف عمليات التنقيب والحفر عند هذه الآثار وحدها ، تاركين ما كان لليبيين قبلها من تراث ذاتي ؟ فقدنا الأمل في العثور على شيء من حضارة الليبيين قبل العهد اليوناني في ليبيا ذاتها بعد أن بحثنا نوفق ، أم هو إهمال غير مقصود منا ، فرضته علينا ظروف مادية وفنية ؟

إنها دعوة أرفعها إلى هذا المؤتمر التاريخي الذي يعقد لأول مرة في عهد الإستقلال والحكم الذاتي ، يتبناها فيضمن توصياته ما يوجه البحث والباحثين إلى وجوب العناية بالتنقيب عن آثار الليبيين في العصور السابقة لعهد الإستقرار اليوناني في ليبيا ، حتى نسد فترة الفراغ الواسعة فيما بين العصور الحجرية ، والقرن السابع قبل الميلاد .